﴿قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ٩٥﴾ [الإسراء: 95]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

ربـط ضلالهم في إنكار بشريّة الرَّسولِ، بكونه من جنس مَن يُرسَلُ إليهم

ظهرَ إنكارهُم وتعجُّبهُم بمدعاةِ ضلالِهم وفرطِ جهالاتهم في الآيةِ السّابقةِ منْ أنْ يكونَ الرَّسولُ بشرًا اقتضاءَ أنْ يبعثَ إليهم مَلَكًا، كأنَّهُ قيلَ بعدَ الإنكارِ: هلّا بعثَ اللّهُ مَلَكًا؟ فكانَ الجوابُ: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ﴾ الآية[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَمۡشُونَ﴾: (مشي) أصلان يدلّ أحدُهما على حركةِ حيّ، والآخرُ النَّماءُ والزّيادةُ[2]، والمعنى المحوريُّ للمشي: هو الانتقالُ بالأرجلِ منْ غيرِ حدَّةٍ وقوَّةٍ؛ فهو أخفُّ مِنَ الجري، وهو الانتقالُ منْ مكانٍ إلى آخرَ، ومشيُ الإنسانِ يكونُ على رجليهِ سريعًا أوْ بطيئًا، وقدْ يردُ المشيُ بمعنى الهدي، ومعنى ﴿يَمۡشُونَ﴾ في الآيةِ الكريمةِ، وهو وصفٌ للملائكةِ المفترضينَ: أنَّهم يمشونَ، كما يمشي بنو آدمَ[3].

2) ﴿مُطۡمَئِنِّينَ﴾: (طمن) أصلٌ في اطمئنان النَّفسِ وسكونها واستئناسها، والسُّكونُ يحصلُ بعدَ التَّهيُّجِ والانزعاجِ، والنَّفسُ المطمئنَّةُ هيَ المؤمنةُ الَّتي أخبتتْ لربِّها، وكلُّ ما جاءَ في القرآنِ من الاطمئنانِ والطُّمأنينةِ يأتي على معنى السُّكونِ النَّفسيِّ والقلبيِّ ونبذِ القلقِ والوجلِ والحذرِ[4]، ومعنى ﴿مُطۡمَئِنِّينَ﴾ أنَّهم مستوطنون مقيمون قارّون في الأرض[5].

(1) الواحديّ، التّفسير البسيط: 13/ 484.
(2) الراغب، المفردات، وابن فارس، مقاييس اللّغة، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (مشي).
(3) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/ 267.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (طمن).
(5) الخازن، لباب التّأويل: 3/ 147.

3) ﴿مَلَكًا﴾: (ألك) يدلّ على تحمّل الرسالة، وإنّما سُمّيتِ الرّسالَةُ أَلوكًا لأنَّها تُؤْلَكُ في الفَم، مُشْتَقٌّ من قَوْلِ العرب: الفَرَس يَأْلُكُ باللِّجام ويَعْلُكُهُ، إذا مضَغَ الحديدةَ[1]، "والمَلَكُ هو واحدُ الملائكةِ، ولفظهُ مَفْعَلٌ من الألوك والألوكة بمعنى الرِّسالة"، وجعله النَّحويون منْ لفظِ الملائكةِ، "وجُعِلَ الميمُ فيهِ زائدةً، وقالَ بعضُ المحقِّقينَ: هو من الملكِ، قالَ: والمتولّي من الملائكةِ شيئًا من السّياساتِ، يقالُ لهُ: مَلَكٌ بالفتحِ"[2]، ومعنى المَلَكِ في الآيةِ: هو واحدُ الملائكةِ[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

طبيعة الملائكة تختلف عن البشر، ولا يكون رسولُ الملائكة إلّا ملكًا

لوْ كانَ في مقدورِ الملائكةِ أنْ يكونوا كبني آدمَ؛ فيحلّوا محلَّهم من الأرضِ، فيمشونَ مشيتهُم، قارّينَ في مساكنهِم، لا يصعدون إلى السَّماءِ، لما كانَ منّا إلّا أنْ ننزِّلَ عليهِم مَلَكًا منْ جنسهِم، يَفهَمُهم، ويَفهمونَهُ، ويبلِّغهم رسالاتِ ربِّهم؛ ذلكَ "أنَّ أهلَ الأرضِ لوْ كانوا ملائكةً لوجبَ أنْ يكونَ رسولُهُم مِنَ الملائكةِ؛ لأنَّ الجنسَ إلَى الجنسِ أميلُ، أمّا لوْ كانَ أهلُ الأرضِ مِنَ البشرِ؛ لوجبَ أنْ يكونَ رسولُهُم مِنَ البشرِ"[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة الاستئناف في جملة: ﴿قُل لَّوْ كَانَ﴾:

إنكارهُم إرسالَ الرُّسلِ من البشر، يقتضي أن يكون الرّسول ملَكًا

استأنف النّظم الكريم معنًى جديدًا ردًّا على سؤال ناشئ من معنى الآية السّابقة، فقال: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ﴾؛ لأنَّ إنكارهُم إرسالَ الرُّسلِ بشرًا واعتقادَهُم ذلكَ يفضي إلى طلب أن يكون الرَّسولُ من الملائكة، فجاء الجواب بأنَّ الله "يُرسلُ الرَّسولَ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ألك).
(2) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (ملك).
(3) السّمرقنديّ، بحر العلوم: 2/ 329.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 21/ 410.

لقومهِ منْ نوعِ جنسهِم تمكينًا لمخالطتهِم؛ فاتِّحادُ النَّوعِ ممّا يعينُ على تيسيرِ المعاشرةِ[1].

دلالة الأمر بلفظ ﴿قُل﴾:

في القول تبيينٌ للحكمةِ، وتحقيقٌ للحقِّ المُزيحِ للرَّيبِ

استهلَّ الآيةَ بالفعلِ ﴿قُل﴾، وهو أمرٌ من الحقِّ سبحانهُ، غرضهُ أن يكونَ تبيينًا وتوضيحًا للحكمةِ، وتحقيقًا وتوكيدًا للحقِّ؛ لإزاحةِ الرَّيبِ والتَّردُّدِ[2]، ودفعًا للمكابرةِ والعنادِ، بعدَما قامت دلائلُ شهادتهِ وبراهينُ وحدانيَّتهِ، لذا أورد النَّظمُ المعنى ملقِّنًا إعلانًا عن كمال الحجَّة والرَّدِّ بالوحي.

سرُّ التَّعبيرِ بلفظ ﴿لَوْ﴾:

امتنعَ أنْ ينزِّلَ ملَكًا رسولًا؛ لامتناعِ وجودِ ملائكةٍ تمشي على الأرضِ

﴿لَوْ﴾ حرفُ امتناعٍ لامتناعٍ؛ فهو على إرادةِ امتناعِ أنْ ينزِّلَ عليهم من الملائكةِ رسولًا؛ لامتناعِ أنْ تكونَ الأرضُ لهم مُستقرًّا، يمشونَ فيها، ويسكنونَ بما يتَّفقُ معَ هيئتهِم الرّوحانيَّةِ، ووجهُ ذلكَ أنَّ الأرضَ ذاتُ طبيعةٍ مادّيَّةٍ منْ زرعٍ وشجرٍ وحجرٍ وسواها، أمّا الملائكةُ؛ فهيَ أرواحٌ نورانيَّةٌ لا تُرى، فلا مناسبةَ بينَ هيئتهِم والأرضِ المادّيَّةِ بانقطاعِ الخطابِ بينهُم وبينَ منْ أُرسلوا إليهم، فحينئذٍ لا محيدَ منْ أنْ تتجسَّدَ هيئاتُهُم على صورةٍ مادّيَّةٍ، فيكونوا كالبشرِ[3]، عندَها يسقطُ اعتراضُهُم، فلمّا امتنعَ الأوَّلُ معَ ﴿لَوْ﴾؛ امتنعَ الثّاني بديهةً وعقلًا، فلَمّا كانَ سكانُ الأرضِ منْ جنسِ البشرِ؛ أرسلنا لهم بشرًا رسولًا منْ جنسهِم، فلو كانوا ملائكةً؛ لأرسلنا لهم ملائكةً منْ جنسهِم؛ لتحصلَ المؤالفةُ والمجانسةُ[4] في التَّبليغِ والأداءِ، وذلك أدعى إلى القناعة والقبول.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 213.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 196.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 8/ 4459.
(4) القشيريّ، لطائف الإشارات: 2/ 370.

دلالة التَّعبيرِ بفعلِ الكينونةِ الماضي:

دلالة على تحقُّقِ وجودِهم في الأرضِ واستقرارِهم فيها

في قولِه تعالى: ﴿لَّوۡ كَانَ﴾ عبَّرَ بفعلِ الكينونةِ بصيغةِ الماضي؛ للدَّلالةِ على معنى الوجودِ والتَّحقُّقِ والاستقرارِ في الأرضِ[1]؛ ليؤذنَ باكتسابِهم صفةَ البشريَّةِ أو شبهَها، فينزلُ الملكُ عليهم، وامتناع الكينونة أدلُّ على النَّفي من امتناع الفعل.

غرض تقديمِ شبهِ الجملةِ ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ على الاسمِ ﴿مَلَٰٓئِكَةٞ﴾:

ظـرف الـحـوار أولى بالتّقديم؛ لأنّ الأرض هي مقصد الإرسال ومحلّه

قدَّمَ شبهَ الجملةِ في قولِه تعالى: ﴿لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ﴾ على الاسمِ لغرضِ الاهتمامِ والتَّخصيصِ؛ فإنَّ مساقَ الآيةِ يجري في افتراضِ إحلالِ الملائكةِ محلَّ الآدميّينَ في موطنِهم ومسكنِهم، وهيَ الأرضُ[2] لا غيرُها، فالأرضُ محورُ الكلامِ والافتراض، وهو الشُّبهةُ الَّتي دخلَ بها المشكِّكونَ ببشريَّةِ الرُّسلِ.

سرُّ التّقييد بالوصف بجملة ﴿يَمۡشُونَ﴾:

تصويرُ المشهدِ المتحرّكِ لحالِ الملائكةِ، أبلغ في الدّلالة على الامتناع

قولُهُ تعالى: ﴿يَمۡشُونَ﴾ جملة وقعت وصفًا لـ﴿مَلَٰٓئِكَةٞ﴾، والنَّظمُ الجليلُ بهذه الجملة يصوِّر المشهدَ المتحرِّكَ لحالِ الملائكةِ المجموعينَ في اتِّصافِهم بصفاتِ الآدميّينَ تصويرًا رائعًا؛ بدلالةِ الفعلِ المضارعِ المؤذنِ بالتَّجدُّدِ؛ فهو يقرِّبُ استحضارَ ذهنِ السّامعِ، فهم يمشونَ على الأرضِ، متصرِّفينَ فيها بالمشي، لا يصعدونَ إلى السَّماءِ ليسمعوا، أو يعلموا، فإذا علموا؛ فلا فائدةَ من إرسالِ الملائكةِ إليهم عندئذٍ، بل هم مقيمونَ في الأرضِ، يلزمهُم ما يلزمُ البشرَ المكلَّفينَ من العباداتِ والأحكامِ المخصوصةِ الَّتي لا تُدرَكُ بالعقلِ[3]، والجملة الفعليَّة أمكنُ في تقريبِ الصّورةِ دونَ الصّيغِ الأخرى الاسميَّةِ والفعليَّةِ.

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 196.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 514.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 114.

سرُّ التّقييد بالحال في ﴿مُطۡمَئِنِّينَ﴾:

القيد دالٌّ على الاستقرار والتّعايش، الّذي يفترضه السّياق للملائكة المقصودين

قولهُ: ﴿مُطۡمَئِنِّينَ﴾ منصوبٌ على الحاليَّةِ من فاعلِ المشي[1]، ولمّا كانَ المطمئنُّ هو السّاكنَ؛ فإنَّ المعنى هنا التَّمكُّنُ وعدمُ الاضطرابِ، فمشيهُم مشيُ قرارٍ وهدوءٍ في الأرضِ، وهو منْ صفةِ الإنسانِ؛ ليؤولَ المعنى إلى أنَّكُم لوْ كنتُم ملائكةً؛ لنزَّلنا عليكُم مَلَكًا، لكنْ لمّا ثبتَ كونكُم بشرًا؛ أرسلنا إليكُم بشرًا منْ جنسكُم[2]، وهذا القيد يفيد الثَّباتَ التّامَّ كثبات البشر على الأرض.

سرُّ إسناد الفعل للضّمير الدالِّ على التّعظيم ﴿لَنَزَّلۡنَا﴾:

المنزِّل عظيم مهيبٌ، وما كان من العظيم فهو عظيم

أسنَدَ فعلَ التَّنزيلِ إلى الضَّميرِ (نا) الدّالِّ على العظمةِ[3]، وفي ذلكَ دلالةٌ على شرفِ المُنْزَلِ، وهو المَلَكُ الرَّسولُ؛ لشرفِ إضافتهِم إليهِ سبحانه ولتهويلِ الأمرِ وتربيةِ المهابةِ.

وجهُ تعديةِ ﴿لَنَزَّلۡنَا﴾ بـ(على) وعودِ الضَّميرِ فيهِ:

تشبيه حال المُنزَّل بحال مَنْ في الأرض، بإنزال الوحي عليهم من السّماء

لمّا ذكرَ فعلَ التَّنزيلِ جعلهُ متعدّيًا بحرفِ الاستعلاءِ (على) بقولهِ: ﴿لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، وأعادَ الضَّميرَ عليهِم، والمقصودونَ هم الملائكةُ، ووجهُ التَّعديةِ بـ(على) الإشارةُ إلى قوَّةِ اتِّصافهِم بصفاتِ الآدميّينَ في كونهِم على الأرضِ لا في السَّماءِ، و"كما فعلْنا في تنزيلِ جبريلَ ﷺ على الأنبياءِ من البشرِ، وحُقِّقَ الأمرُ"[4] بأنْ أنزلهُ من السَّماءِ؛ فلا يشكُّ أحدٌ في قرارهِم على الأرضِ، فقدْ غدا حالُهُم كحالِ البشرِ بأنْ ينزلَ عليهمُ الوحيُ منْ علٍ، كما أنَّ تعديةَ فعلِ التَّنزيلِ بحرفِ الاستعلاءِ (على) إشارةٌ إلى سموِّ المنزِّلِ واستعلائهِ على المنزَّلِ عليهِ، وتمكُّنهِ منهُ، فيكونُ ملابسًا لهُ مختلطًا بهِ، وهو أدعى إلى تحقيقِ غرضِ التَّنزيلِ، بخلافِ (إلى) الدّالةِ على الانتهاءِ والوصولِ.

(1) السّمين، الدّرّ المصون: 7/ 413.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 213.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 514.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 514.

سرّ تقديمِ الجارَّينِ والمجرورين على المفعول ﴿مَلَكًا﴾:

في قولهِ تعالى: ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾، قدَّمَ شبهَ الجملةِ ﴿عَلَيْهِم﴾، وشبهَ الجملةِ ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ على المفعولِ ﴿مَلَكًا﴾؛ للإشارةِ إلى أنَّ هذا التَّنزيلَ المحقَّقَ من السَّماءِ[1] تعظيمٌ لهُ وتفخيمٌ وتوكيدٌ لما افترضه من أنَّهم إنْ حلّوا محلَّ الآدميّينَ، فسيعاملونَ مثلهُم بأن يكونَ الملكُ نازلًا عليهِم من فوقهِم من السَّماءِ كما يفعلُ مع الآدميّينَ حقيقةً، وفي تقديم ﴿عَلَيْهِم﴾ تخْصيصُهم بالإنزال بوصفهم مناطَ الحديث إنكارًا، وجحودًا، واعتراضًا.

توكيد أنَّه مُنزَلٌ من السَّماءِ، وهو ذو قداسة وخصوصيّة لذلك

الغرض من تنكيرِ لفظتي (مَلَكٍ) و(رسولٍ):

نكَّرَ الملَكَ الرَّسولَ في قولهِ تعالى: ﴿مَلَكًا رَّسُولًا﴾؛ لإفادةِ التَّعظيمِ والتَّكريمِ، أي: رسولًا عظيمًا كريمًا منهُم؛ فإنَّه من أهلِ السَّماءِ.

أعظم المخلوقات الرّسل المعظّمون، والملائكة المكرمون

الغرض من تقديم لفظ (ملك) على لفظ (رسول):

تقديمُ الملَكِ على الرَّسولِ في قولهِ تعالى: ﴿مَلَكًا رَّسُولًا﴾ غرضهُ الاهتمامُ؛ فإنَّ الإنكارَ ليسَ متوجِّهًا إلى الرِّسالةِ نفسِها، فهو أمرٌ حتميٌّ لا خلافَ فيهِ، بل إلى هيئةِ المرسَلِ في كونهِ بشرًا في الآيةِ السّابقةِ، "واعتقادًا منهُم بأنَّ اللّهَ سبحانهُ لو بعثَ رسولًا إلى الخلقِ؛ لوجبَ أن يكونَ من الملائكةِ"[2].

إنكارهُم غيرُ متوجِّهٍ للرِّسالةِ بل لهيئةِ المرسَلِ، لأنّهم لا يتصوّرونه بشرًا

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 514.
(2) المراغيّ، تفسير المراغي: 15/ 96.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 29 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-26-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 29 : المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-26-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6484549 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»